المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.304

العدد الثاني والعشرون / كانون الأول 2023

دور المراة ومكانتها الاجتماعية في الاسلام

وفقاً لتعاليم القرآن الكريم والسُّنَّة النبويَّة

إعداد: الباحث مصطفى محمود ابراهيم

جامعة الجنان_ كلية الآداب والعلوم الانسانية_ قسم التاريخ الاسلامي _ الدراسات العليا

الملخص.

دور المرأة في المجتمع الإسلامي لقد جاء الإسلام للناس كافّة، بمختلف منابتهم وأشكالهم وألوانهم صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا، فلا فرق بينهم، ولقد أولى الإسلامُ منذ بداية الدعوة المرأة اهتماما خاصا، كما أنه اهتم بحقوق المرأة وكرَّمها، وجعل لها كلمةً مسموعةً في كل وقتٍ وحين، فالمرأةُ كانت قبل الإسلام، تُقتلُ وهي صغيرة؛ لئلّا تجلب لهم العار، هذا زعمُ أهل الجاهلية، لكن جاء الإسلام وأنصفها وأنقذها من مستنقع الجهل ذاك. وقد بين الإسلامُ أن للمرأة دورا هامّا في المجتمع الذي تعيش فيه، فهي مسؤولةٌ مسؤوليةً تشاركيّة مع زوجها في إنشاء جيلٍ مسلمٍ، مؤمن بالله، ذو أخلاقٍ سامية، قدوته رسول الله –صلى الله عليه وسلّم–، فلو أن كلَّ أُسرةٍ عملت بذلك لتغير المجتمع إلى أحسن ما يكون. ومن دور المرأة في المجتمع وهو في العمل أن تختار المجال الذي يُناسب مكانتها والرسالةَ التي تحملها لترتقي بالمجتمع إلى درجةٍ عالية من السمو والأخلاق، وبذلك تكون قد أدت الأمانة الأخلاقية، فتكون مثالًا يُحتذى بهِ للأجيال الصاعدة في مجالات العمل المختلفة كالتعليم والطب والمدرسة.وللمرأة دورٌ في أن تُحافظ على نفسها من أن تكون كما يُروّج أصحاب النفوس المريضة، فهم يُنادون بتحرر المرأة، ولا يريدون من ذلك إلّا حرّية الوصول إلى المرأة، فيجب أن تحذر من هؤلاء الذين يُحرّضون على فساد المجتمع بنشر الشهوات والمنكرات والدعوة إليها. نماذج لدور المرأة في المجتمع الإسلامي سأذكر بعض النماذج للمرأة المسلمة فيما يأتي: دور أم سلمة –رضي الله عنها– في المشورة على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عندما عادوا من صلح الحديبية وكانت نيتهم الحج فعقدوا الصلح، فانتكس الصحابة –رضوان الله عليهم– فما كان من أم سلمة إلا أن تشير على رسول الله بأن يفعل كما لو أنّه عاد من الحج، ففعل ذلك، ففعل الصحابة ذلك وبهِ تغيرت الأجواء وعمت السعادةُ والرضى. دور ذات

النطاقين أسماء –رضي الله عنها– عندما كانت تُخاطر بنفسها لتوصل الطعام إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلّم– ووالدها أبي بكر، فكانت تسير مسافة بعيدة والأرض شاقة ووعرة والشمس حارقة، فضحت في سبيل الله نُصرةً للدعوة ولنهضةِ المجتمع. دور السيدة خديجة في حمل أعباء الدعوة عن الرسول –صلى الله عليه وسلّم– وكانت من أوائل الذين أسلموا من النساء والرجال، فوقفت مع الرسول–صلى الله عليه وسلم– في الشدة قبل اليسر، فحملت عنه أعباء الدعوةِ ومشاقّها، وجاهدت في سبيل الله بنفسها ومالها –رضوان الله عليها–. مكانة المرأة في الإسلام لقد أولى الإسلام المرأة مكانة عظيمة، وأكرمها بما لم يكرمها به دينٌ آخر، فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وما زالت مجتمعات المسلمين، تولي المرأة اهتماما شديدا، وترعاها رعايةً خاصة، امتثالًا لوصايا رسول الله بالنساء وبحفظ المرأة وإكرامها والإحسان اليها .

Abstract

The role of women in the Islamic society Islam came to all people, with their different backgrounds, shapes and colors, young and old, male and female, and there is no difference between them. Before Islam, women were killed when they were young. lest you bring shame on them, this is the claim of the people of ignorance, but Islam came and did justice to it and saved it from that quagmire of ignorance. Islam has shown that the woman has an important role in the society in which she lives,

as she is responsible with a joint responsibility with her husband in creating a Muslim generation, believing in God, with lofty morals, whose role model is the Messenger of God - may God bless him and grant him peace -, so if every family did that, society would change to The best. One of the role of women in society while at work is to choose the field that suits their status and the message they carry in order to elevate society to a high degree of loftiness and morals. To preserve itself from being as promoted by those with sick souls, as they call for the liberation of women, and they only want freedom of access to women, so you must beware of those who incite the corruption of society by spreading lusts and evils and calling for it. Examples of the role of women in Islamic society I will mention some examples of Muslim women as follows: The role of Umm Salama - may God be pleased with her - in advising the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - when they returned from the Treaty of Hudaybiyah and their intention was to perform Hajj, so they concluded the peace, so the Companions - may God be pleased with them - relapsed - It was not for Umm Salama except to advise the Messenger of God to do as if he had returned from Hajj, so he did so, so the Companions did that,

and with it the atmosphere changed and happiness and contentment prevailed. The role of the two bands Asma - may God be pleased with her - when she was risking herself to deliver food to the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - and her father Abu Bakr, so she was walking a long distance and the land is arduous and rugged and the sun is scorching. The role of Mrs. Khadija in carrying the burdens of the call on behalf of the Messenger - may God bless him and grant him peace - and she was one of the first women and men to convert to Islam. - May God be pleased with her -. The status of women in Islam Islam has given women a great position, and has honored them in ways that no other religion has honored them with. In compliance with the commandments of the Messenger of God regarding women and the protection, honor and kindness of women.

المقدّمة:

إنّ قضيّة المرأة ودورها في المجتمع ومكانتها وحُكم عملها داخل البيت، يتحقّق بتولّيها مناصب وولايات دينية، أو ما يتعلّق بنشاطها وعملها السّياسيّ والمسائي، لم تزل محلّ بحث من قبل فقهاء المسلمين القدامى والمحدثين.

ولم يقتصر الأمر على فقهاء الإسلام، بل إنّ قضايا المرأة المسلمة وأعمالها خارج المنزل وداخله، أصبحت من الأمور الّتي يتم من خلالها توجيه اللّوم للمسلمين ولمجتمعاتهم من قبل أعداء الإسلام، لأنّهم يريدون تحرير المرأة على طريقة الغرب، ولأنّهم – أي أعداء الإسلام – يريدون للمرأة المسلمة أن تخرج من بيتها وتمارس جميع الأعمال الّتي يمارسها الرّجال على قلم المساواة دون مراعاة للقيم والمبادئ والأحكام الشرعيّة.

وقد اخترت موضوع البحث هذا، وهو دور المرأة السياسي في الإسلام، لأهمّيّته من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ واقع دور المرأة السياسي، ومفهومه في المجتمعات المسلمة في العصر الحاضر هو مثار جدل، وهذا يبدو جليًّا من خلال ما تطرحه منظمات وهيئات نسائية وغير نسائية تزعم أنّها نصيرة المرأة ومدافعة عن حقوقها السياسية، فمنهم من يدّعي أنّ التشريعات الإسلامية لم تعطِ المرأة حقّها، ولم تعطها حقوقها السياسية، ما دفعني للبحث في هذا الأمر وفق منهج علميّ يقوم على استقراء الأدلّة والآراء واستخلاص الأحكام، لمعرفة حقيقة موقف الشّرع من القضايا والأسباب التي تثار حول هذا الموضوع. والمجتمعات المسلمة في هذا الوقت بحاجة ماسة إلى استقصاء منهج الإسلام في هذا الأمر ومطارت بالرفع الذي عليه شهرأة المسلمة وهو ما يستحق البحث ليظهر من خلاله عدالسة

السياسة الشرعية، بل ويظهر أن الفقه الإسلامي تبليل الجميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية

أولاً – التّعريف بدور المرأة في المجتمع:

قال تعالى "وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ". فالمرأة منذ بدء الخليقة وهي نصف المجتمع، هي الرّحمة والحنان والعطف، وهي مَن تربّي الأجيال، وهي الأمّ والأخت والزّوجة، وهي من تربي وتسهر وتتعب في تربية الأبناء. كما أنها هي مصنع الرجال، لهذا فإن دورها هو دور عظيم جدًا داخل المجتمع، وخاصة فإن لها دور كبير في التنمية والنهضة بالمجتمعات.

كما لها دور سياسي وثقافي واجتماعي؛ فهي التي تزرع القيم والعادات والتقاليد، وعمل على التواصل الإيجابي بالمجتمعات المحيطة، فهي القدوة الحسنة التي تقتضي بها الأجيال.

ثانياً– أهمّيّة المرأة في الإسلام:

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنّساء في الإسلام شقائق الرّجال، وخير النّاس خيرهم لأهله؛ فالمسلمة في طفولتها لها حقّ الرّضاع، والرّعاية، وإحسان التّربية، وهي في ذلك الوقت قرّة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها.

وإذا كبرت، فهي المعزّزة المكرّمة الّتي يغار عليها وليّها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيدٍ بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة.

وإذا تزوّجت، كان ذلك بكلمة الله وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزّوج بأعزّ جوار، وأمنع ذمار، وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكفّ الأذى عنها.

وإذا كانت أمًّا، كان برُّها مقرونًا بحق الله تعالى، وعقوقها والإساءة إليها مقرونًا بالشّرك بالله، والفساد في الأرض. وإذا كانت أختًا، فهي الّتي أُمر المسلم بِصِلتها وإكرامها والغيرة عليها. وإذا كانت خالة، كانت بمنزلة الأمّ في البرّ والصّلة. وإذا كانت جدّة أو كبيرة في السّنّ، زادت قيمتها لدى أولادها وأحفادها وجميع أقاربها؛ فلا يكاد يردّ لها طلب، ولا يُسَفَّه لها رأي.

أمّا إذا كانت بعيدة عن الإنسان، لا يدنيها قرابة أو جوار، كان له حق الإسلام العام من كفّ الأذى، وغضّ البصر ونحو ذلك. وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حقّ الرّعاية، ما جعل للمرأة قدرًا عاليًا ومكانة مرموقة.

ثالثاً – مكانة المرأة في الدّولة المسلمة:

من أهمّ ما جاء به القرآن الكريم، إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهليّة وظلامها، ومن تحكّم الرّجل في مصيرها بغير حقّ. فقد كرّم القرآن المرأة وأعطاها حقوقها بوصفها إنسانًا، وكرّمها بوصفها أنثى، وكرّمها بوصفها بنتًا، وكرّمها بوصفها زوجة وكرّمها أمًّا، وكرّمها بوصفها عضوًا في المجتمع.

لقد جاء الإسلام، وبعض النّاس ينكرون إنسانيّتها، بل يعتبرونها مخلوقا خلق لخدمة الرّجل، فكان من فضل الإسلام أنّه كرّم المرأة، وأكّد إنسانيّتها وأهليّتها للتكليف والمسؤولية والجزاء ودخول الجنّة، واعتبرها إنسانًا كريمًا، له كل ما للرّجل من حقوق إنسانيّة؛ لأنّهما فرعان من شجرة واحدة، وأخوان ولدهما أب واحد وهو آدم، وأمّ واحدة هي حواء، فهما متساويان في أصل

النّشأة، متساويان في الخصائص الإنسانيّة العامّة، متساويان في التّكليف والمسؤولية، متساويان في الجزاء والمصير، وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: 1].

وإذا كان النّاس –كلّ النّاس– رجالًا ونساءً، خلقهم ربّهم من نفس واحدة وجعل من هذه النّفس زوجا تكملها، وتكتمل بها كما قال في آية أخرى ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ [الأعراف: 2]. وبثّ في هذه الأسرة الواحدة رجالًا كثيرًا ونساء، كلّهم عباد لرب واحد، وأولاد أب واحد وأم واحدة، فالأخوّة تجمعهم، ولهذا أمرت الآية الناس بتقوى الله، ورعاية الرحم الواشجة بينهم ﴿ **وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** ﴾ [النساء: 1].

فالرّجل – في هذا النّصّ – أخ المرأة، والمرأة شقيقة الرّجل، وفي هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما النّساء شقائق الرجال".

خامساً – مساواة المرأة للرجل في التكليف والتدين والعبادة

يقول الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"**﴾ [الأحزاب: 35]

وفي التكاليف الدينية الاجتماعية الأساسية، يساوي القرآن بين الجنسين بقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: 71].

وفي قصة آدم توجه التكليف الإلهي إليه وإلى زوجه سواء. قال تعالى: ﴿ **يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: 35]. والجديد في هذه القصة كما ذكرها القرآن، أنها نسبت الإغواء إلى الشيطان لا إلى حواء كما فعلت التوراة المحرفة: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**﴾ [البقرة: 36

ولم تنفرد حواء بالأكل من الشجرة ولا كانت البادئة؛ بل كان الخطأ منهما معا، كما كان الندم والتوبة منهما جميعاً: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف: 83]:

وفي بعض الآيات نسب الخطأ إلى آدم بالذات وبالأصالة ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ [طه: 115]. ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾ [طه: 120]. وقال تعالى ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى**﴾ [طه: 121].

كما نسبت إليه التوبة وحده أيضاً: ﴿ **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**﴾ [طه: 122]. مما يفيد أنه الأصل في المعصية وامرأته تابع له، ومهما يكن الأمر فإن خطيئة حواء لا يحمل تبعتها إلا هي، وبناتها براء من إثمها، ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: 134].

سادساً – مساواة المرأة للرجل في الجزاء

يقول الله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195]. فنص القرآن في صراحة على أن الأعمال لا تضيع عند الله، سواء أكان العامل ذكرا أم أنثى، فالجميع بعضهم من بعض، من طينة واحدة، وطبيعة واحدة، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: 97].

سابعاً – في الحقوق المالية للمرأة

أبطل الإسلام ما كان عليه كثير من الأمم –عربًا وعجمًا– من حرمان النّساء من التّملّك والميراث أو التّضييق عليهنّ في التّصرّف فيما يملك، واستبداد الأزواج بأموال المتزوّجات منهنّ، فأثبت لهنّ حق التّملّك بأنواعه المشروعة، فشرّع الوصيّة والإرث لهنّ كالرّجال، وأعطاهن حقّ البيع والشّراء والإجارة والهبة والإعارة والوقف والصّدقة والكفالة والحوالة والرّهن وغير ذلك من العقود والأعمال. ويتبع ذلك حقوق الدّفاع عن مالها كالدّفاع عن نفسها، بالتّقاضي وغيره من الأعمال المشروعة.

وقرر الإسلام للزوجة حقوقًا على زوجها، ولم يجعلها مجرّد حبر على ورق؛ بل جعل عليها أكثر من حافظ ورقيب من إيمان المسلم وتقواه أولا، ومن ضمير المجتمع ويقظته ثانيا، ومن حكم الشّرع وإلزامه ثالثا. وأول هذه الحقوق "الصَداق" الذي أوجبه الله للمرأة على الرجل

إشعارًا منه برغبته فيها وإرادته لها، قال تعالى: ﴿ **وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**﴾ [النساء: 4].

فأين هذا من المرأة التي نجدها في ديانات أخرى، فتدفع هي للرجل بعض مالها، مع أن فطرة الله جعلت المرأة مطلوبة لا طالبة؟

وثاني هذه الحقوق هو "النفقة"، فالرجل مكلّف بتوفير المأكل والملبس والمسكن والعلاج لامرأته بالمعروف، والمعروف هو ما يتعارف عليه أهل الدين والفضل من الناس بلا إسراف ولا تقتير، قال تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾ [الطلاق: 7].

وثالث الحقوق هو "المعاشرة بالمعروف" قال تعالى:﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: 19].

ثامناً – مكانة المرأة وأهميتها في الدولة المسلمة الحديثة

من أهمّ ما جاء به القرآن الكريم إنصاف المرأة وتحريرها من ظلم الجاهلية وظلامها، ومن تحكّم الرّجل في مصيرها بغير حقّ، فكرّم القرآن المرأة وأعطاها حقوقها بوصفها إنسانًا، وكرّمها بوصفها أنثى، وكرّمها بوصفها بنتًا، وكرمها بوصفها زوجة وكرمها أما، وكرمها بوصفها عضوا في المجتمع، لقد جاء الإسلام وبعض الناس ينكرون إنسانيتها؛ لكنه يعتبرها مخلوقا خلق لخدمة الرجل، فكان من فضل الإسلام أنه كرم المرأة، وأكد إنسانيتها، وأهليتها للتكليف، والمسؤولية والجزاء ودخول الجنة واعتبرها إنسانا كريما، له كل ما للرجل من حقوق إنسانية؛

لأنهما فرعان من شجرة واحدة، وأخوان ولدهما أب واحد وهو آدم، وأم واحدة هي حواء، فهما متساويان في أصل النشأة، متساويان في الخصائص الإنسانية العامة، متساويان في التكليف والمسؤولية، متساويان في الجزاء والمصير، وفي ذلك يقول الله عز وجلّ في القرآن الكريم: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: 1].

وإذا كان الناس –كل الناس– رجالا ونساء، خلقهم ربهم من نفس واحدة وجعل من هذه النفس زوجا تكملها، وتكتمل بها كما قال في آية أخرى ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾[الأعراف: 2]. وبث في هذه الأسرة الواحدة رجالا كثيرا ونساء، كلهم عباد لرب واحد، وأولاد أب واحد وأم واحدة، فالأخوة تجمعهم، ولهذا أمرت الآية الناس بتقوى الله، ورعاية الرحم الواشجة بينهم ﴿ **وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ**﴾ [النساء: 1]. فالرجل – في هذا النص– أخ المرأة، والمرأة شقيقة الرجل، وفي هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إنما النساء شقائق الرجال)).

تاسعاً – المرأة باعتبارها أما

لا يعرف التّاريخ دينًا ولا نظامًا كرّم المرأة باعتبارها أمًّا، وأعلى من مكانتها، مثل الإسلام، لقد أكد الوصية بها وجعلها تالية للوصية بتوحيد الله وعبادته، وجعل برّها من أصول الفضائل، كما جعل حقّها أوكد من حق الأب لما تحتمله من مشاق الحمل والوضع والإرضاع والتربية، وهذا ما يقرره القرآن، ويكرره في أكثر من سورة ليثبته في أذهان الأبناء ونفوسهم، وذلك

في مثل قوله تعالى ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان: 14].

وقال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾ [الأحقاف: 15].

ومن توجيهات القرآن الكريم أنه وضع أمام المؤمنين والمؤمنات أمثلة وقدوة حسنة لأمهات صالحات كان لهن أثر ومكان في تاريخ الإيمان.

فأم موسى تستجيب إلى وحي الله وإلهامه، وتلقي ولدها فلذة كبدها في اليمّ مطمئنة إلى وعد ربها، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: 7].

وأم مريم التي نذرت ما في بطنها محررا لله، خالصا من كل شرك أو عبودية لغيره، داعية الله أن يتقبل منها نذرها، قال تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [آل عمران: 35]. فلما كان المولود أنثى على غير ما كانت تتوقع لم يمنعها ذلك من الوفاء بنذرها، سائلة الله أن يحفظها من كل سوء، قال تعالى ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: 36].

ومريم ابنة عمران أم المسيح عيسى، جعلها القرآن آية في الطهر والقنوت لله والتصديق بكلماته ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ (التحريم: 12).

عاشراً – المرأة باعتبارها بنتًا

كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بميلاد البنات ويضيقون به، حتى قال أحد الآباء – وقد بُشر بأن زوجه ولدت أنثى– "والله ما هي بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة". يريد أنها لا تستطيع أن تنصر أباها وأهلها إلا بالصراخ والبكاء لا بالقتال والسلاح، ولا أن تبرهم إلا بأن تأخذ من مال زوجها لأهلها.

وكانت التقاليد المتوارثة عندهم تبيح للأب أن يئد ابنته –يدفنها حية– خشية من فقر قد يقع، أو من عار تجلبه حين تكبر على قومها، وفي ذلك يقول القرآن منكرا عليهم ومفزعا لهم ﴿**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير: 8–9].

ويصف حال الآباء عند ولادة البنات، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [النحل: 58–59].

ISSN: 2709-5312

الخاتمة

نَخلُصُ إلى أنّ المرأة قد حظيت بتكريمٍ عظيمٍ وتشريفٍ عالٍ في ظلّ الدين الإسلامي؛ إذ رفع من شأنها وشأن كرامتها، فقد كان كثيرٌ من النساء يعشن في الجاهلية بكرامةٍ مهدورةٍ وبحقوقٍ مسلوبةٍ؛ فأتى الإسلام ليُعلي من مكانتها، ويرفع من شأنها بالتزامها بأحكام الإسلام وتعاليمه الرفيعة؛ فنالت من المكانة ما لم تنله في أيّ ملّةٍ أو ديانةٍ أو قانونٍ آخر،وتكفّل الإسلام للمرأة بالعناية بها في جميع حالاتها، وجعل لها من يقوم على خدمتها ورعايتها في كلّ الظروف، فكفل لها حقوقًا إن كانت أُمًّا، وتناول في نصوصٍ شرعيَّةٍ كثيرةٍ من القرآن الكريم والسنة النبوية مكانة برّ الوالدين، وخصّ الأمّ بمزيد برٍّ، وجعل برّها مقدَّمًا على برّ الأب، وجعل عقوقها من أكبر الكبائر، وكفل لها حقوقًا إن كانت زوجةً كحقّها في المهر والنفقة وحسن العشرة، وحقّها في قبول أو رفض من يتقدم لها من الرجال للزواج في الخطبة.وقد كفل الإسلام للمرأة جملةً من الحقوق التي تُمكّنها من العيش بحريَّةٍ واستقلاليَّةٍ، وتحصيل ما فيه خيرٌ وصلاحٌ لها، ومن أبرز هذه الحقوق: حقّ الإنسانيّة؛ حيث جعل الإسلام المرأة شريكة الرجل في مبدأ الإنسانيّة؛ فرفع عنها المظالم التي كانت تواجهها في الجاهليّة، فقد كان بعض أهل الجاهليّة يسودّ وجههم إذا بُشِّر أحدهم أنّه جاءته أنثى، وكما انتشرت عندهم عادة وأد البنات، فقد قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾، فنهى الإسلام عن هذه العادة وبيّن حقّ الأنثى في حياةٍ كريمةٍ، كما لم يُفرّق بينها وبين الرجل في الثواب والعقاب؛فهم سواء في التكاليف الشرعية وعند الحساب، قال –تعالى–: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

كما أقرّ الإسلام للمرأة حقّها في الميراث بعد أن كانت في كثيرٍ من أوساط الجاهليَّة محرومةً منه، وجاء إثبات حقّها في الميراث بنصّ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ**﴾. وأمّا عن حقوقها في بيتها؛ فقد جعل الإسلام المرأة ملكةً في بيت زوجها، وراعيةً ومسؤولةً عن أفراد عائلتها وما يتّصل بشؤونهم وشؤون البيت؛ فقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: ((والمَرْأَةُ راعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِها ومسؤولة عن رَعِيَّتِها))،[وأوجب على زوجها رعايتها والقيام بشؤونها وبكلّ ما تحتاجه.

المصدر : القرآن الكريم